

الفصحى واللهجات

"قراءة جديدة وملاحظات"

الدكتور محمود عبدالمولى - تونس

علاقة الفصحى باللهجات :

الى درجة يستحيل دراستها ورصدها عدًا لاختلافها في القطر الواحد، وفي المدينة الواحدة وفي بعض الأحيان تختلف من عربى (نبرد) الى آخر . لقد شرحنا هذا الراى مرات في تونس وخاصة في النقاش الذي دار بنادي ابي القاسم الشابى بتاريخ 13/2/1970 (حول الانتاج الادبى وسلامة اللغة تحت اشراف وزير الشؤون الثقافية) .

وقد اكد اخصائيو عديدون (1) في علم اللغة : ان اللهجات ليست بلغات ولايجوز علميا تسميتها بلغات ؛ لانها فقدت النظام «الغراماطيقى» والقاموس الاساسى اللذين تستعيرهما من اللغة الام ، وهى راكدة خاملة لا تنتشر الا في دائرة ضيقة ولا تصلح لتكون وسيلة اتصال بين الناس في المجتمع الواحد .

ان مشكلة الازواجية اللغوية نيسا يتعلق بالفصحى واللهجات ، هى من المشاكل التى ينظر اليها الناس اليوم في المغرب العربى بشىء كثير من الاهتمام مع انها ليست حديثة العهد عند العرب (2) .

فاللهجات — كما هو معلوم — ليست جديدة على العربية ، فقد كان للعرب في حياتهم الجاهلية لهجات عمت فيها عوامل التقريب قبل الاسلام ، حتى

هناك لهجات خاصة والسنة سالونات كثيرا ما تسمى خطأ في الادب بلغات . فيقال : لغة الفلاحين ، ولغة البورجوازيين ، ولغة الطلبة ، ولغة العمال ، ولغة الاميين ، واللغة التونسية ، واللغة الجزائرية، واللغة المصرية ، واللغة اللبنانية ، الخ ...

فكل لغة حضارة مكتوبة - ومنها اللغة العربية - تمتاز بشيئين اساسيين :

(1) مضمون اساسى وجوهري لقاموس ، وفيه كلمات وتعابير ...

(2) نظام «غراماطيقى» خاص بها ، اى نظام بناء الكلمات وتراكيب العبارات والنحو والصرف .

اما العاميات واللهجات المحلية والقطرية ، فليست بلغات ذلك ان بعض المفردات فيها عربية الاصل ، والبعض الاخر لا يبت الى اللغة العربية بصفة . فاللهجات العربية ترجع كلها الى اللغة العربية ، وهى اللغة الام . اما الالسن واللهجات الخاصة فهى تفرعات منها وتابعة لها كالفروع للشجرة الواحدة .

فاللغة العربية هى بحق لغة ، لان لها قاموسا ونظاما « غراماطيقيا » . اما لهجاتنا فهى متعددة كاشد ما يكون التعدد، ومختلفة كاشد ما يكون الاختلاف ،

(1) ماركسيون وغير ماركسيين — راجع :

في عالم اللغة ودار القلم ، مكتبة المطبوعات الشعبية ، دمشق — بيروت 1954م .

La langue arabe est-elle un luxe?

[Jeune Afrique (306), 20-11-1966]

(2) انظر مقالة للحزواي (بالفرنسية) :

انشأت منها تلك اللغة الأدبية الفصيحة المشتركة التي نشرها الإسلام وكتابه العربي المبين .

ويؤكد الاستاذ محمد خلف الله أحمد في بحث له «حول مستقبل الفصحى» ان القرآن قد اعطى للغة العربية شخصيتها السوية الخالدة ووجودها العالمي الواسع ، وأن كانت قد بقيت من لهجات الجاهلية آثار نصادفها هنا وهناك ، في بعض نصوص الأدب القديم وكتب التراث ، كما نلمسها الى اليوم في بعض العادات اللغوية للمتكلمين باللسان العربي . غير أن حياة المجتمع الاسلامي ، منذ القرن البحري الأول ، شهدت بواكير لهجات محلية دارجة يشيع فيها اللحن والانحراف عن سنن الفصحى ، وكان ظهور تلك اللهجات من العوامل التي بعثت علماء العربية في القرون الإسلامية الأولى ، على القيام بحركتهم في جمع اللغة وتنقية الفصحى والمحافظة على سلامتها (3) .

اذن لقد عرفت العامية حتى في العصر الجاهلي والعصر الأموي فضلا عن العصر العباسي ، كما انتشرت كل الانتشار في الأندلس أيضا . ومع ذلك لم تؤثر في اللغة للفصحى ، ولم تطرح مشكلة عويصة على الناطقين باللغة الصحيحة والكاتبين بها . فلقد كان الأدب الشعبي ، كالازجال ينظم بالعامية ، وكان الشعر والنثر الفني يصنعان باللغة الفصحى . وتعود العرب في ذلك العهد البعيد ، أن يتكلموا بلغة ، ويكتبوا بلغة دون أن يضيقوا بذلك ذراعهم . أما اليوم فان العامية أخذت تهذب وترتفع تدريجيا على السنة الناس بفضل التثقيف والصحافة والإذاعة والتلفزة وغيرها . فلفة الصحافة والإذاعة هي كما وصفها الكاتب العربي اللسان ، والمسيحي الدين بطرس البستاني «الحلقة الوسطى التي انحدرت إليها اللغة العربية الفصحى ، وارتفعت إليها العامية المنحطة ، فخففت كثيرا من مشكلة ازدواجية اللغة» (4) .

مواقف واتجاهات في الفصحى واللهجات :

(1) ومهما يكن من أمر ، فان قضية الفصحى واللهجات تتطلب منا مزيدا من العناية والمراجعة للمواقف السابقة والحلول التي اقترحت وربط ذلك كله بما جد من تطور في العصر الحديث ، كي يتبع تحديد مستقبل الفصحى وموقفها من اللهجات . ويقول الاستاذ محمد خلف الله أحمد ، في هذا الموضوع : « كان يمكن أن تستمر الحال في العصر الحديث ، على ما كانت عليه من ازدواج بين الفصحى واللهجات العامية لولا أن الموقف تغير وأن عوامل اجتماعية وثقافية وقومية جدت عليه فحولته الى نضال حاولت فيه اللهجات — ولا تزال تحاول — أن تكسب لنفسها ميادين جديدة وأن تنتقص الفصحى من اطرافها بل ذهب بعض أنصار اللهجات ، في مرحلة ما ، الى تحدى الفصحى والبناداة باحلال العامية محلها لا في الحياة اليومية والآداب الشعبية فحسب ، ولكن في نواح من الآداب المكتوبة أيضا . ففى الثلث الأخير من القرن الماضي ، ارتفعت ، في بعض جنبات الوطن العربي ، دعوة أجنبية المصدر ، تصم الفصحى بالعمي ، وتتهما بالقصور والجبود وتنسب إليها ما تصاب الشعوب العربية من تخلف ، وتوسوس للعرب باصطناع السننهم المحلية لغات قومية لهم فيها يكتبون ويؤلفون ويسجلون ، من علومهم وآدابهم وسائر نشاطهم الفكري . وترددت اصداء هذه الدعوة في بعض مؤتمرات المستشرقين الدولية . أمام هذا الوضع ، وتجاه هذه التحديات السبومة ، من الانصاف أن نقرر أن المصلحين العرب من جانبهم لم يؤلوا جهدا في التنبيه الى ما خلفته عصور الركود والانحطاط في الفصحى وآدابها من رواسب الضعف والسطحية والزخرفة المسرمة والبعد عن واقع الحياة بالاضافة الى « التعميد والاتواء

(3) مستقبل الفصحى : [ص : 108 — 133 في مجلة معهد البحوث والدراسات العربية . العدد الاول ، مارس 1969] ص : 110 و 111 .

(4) عن الحديث الذي أجرته مع الاستاذ بطرس البستاني ، ببيروت [العمل التونسية بتاريخ 1962/6/18] .

بالتاهرة ، بدراسة مشكلات حياتنا اللغوية - ان مشكلة الازدواج اللغوي ، بالنسبة للمجتمعات التي تتكلم العربية « ابعثد مشكلاتها غورا ، واعنفها اثرا لانها تصيب هذه الامم العربية جميعا بظاهرة الازدواج اللغوي التي تجعلها تحيا وتتعلم وتتعاقل وتتواصل بلغة مبرنة يومية نامية متطورة مطوعة ثم هي تتعلم وتقدن وتحكم بلغة مكتوبة محدودة غير امية لاتطوع بها الالسنه - وتتميز فيها الاقلام » (6) . ويعتبر الاستاذ امين الخولى ان هذا الازدواج اللغوي القهرى يصعد الوحدة الاجتماعية للامة العربية ويفرمتها طبقات ثقافية وعقلية (7) .

ويرى الاستاذ ساطع الحصرى ان « كل امة من الامم تحتاج الى لغة « موحدة» تزيدها تجاوبا وتماسكا فتكون موحدة لان مهمة اللغة في الحياة الاجتماعية المعقدة الحالية لا تنحصر في ضمان التفاهم بين المتخاطبين الذين يعيشون في قرية واحدة ، او مدينة واحدة ، ولا بين الذين ينسبون الى اقليم واحد ، او قطر واحد ، بل هي ضمان للتفاهم والتكاتف والتخاطب والتجاوب بين ابناء الامة على اختلاف مدنهم واقطارهم » (8) .

ونبنا يتعلق بموقفه من قضية الفصحى والعامية فيرى ان بحث الحدود الفاصلة بين الفصحى وبين العامية هو ضروري حتى تتبين الفروق التي تميز الاولى عن الثانية من حيث المفردات وكيفية لفظها من جهة ، ومن حيث التراكيب واسلوب ترتيبها من جهة اخرى . والابحاث اللغوية لا يجوز - حسب رايه - ان تبقى محصورة بين صحائف الكتب والمعاجم ، بل يجب ان تخرج الى ميادين الحياة الاجتماعية لتدرس وتسجل ما يلاحظ فيها بصورة واقعية (9) . وانطلاقا من المسئلة التالية وهى ان العامية

في تدريس قواعد العربية واساليب انشائها ، ولم يؤلوا جهدا ايضا في التزام اليسر والوضوح في استخدام الفاظها والتقريب بينها وبين متطلبات مدارك الناس ومالوف تعبيرهم والعمل على تنمية قاموسها وتحسين طرائق تعليمها وتعلمها وربطها بمتطلبات حياة العصر الحديث وحضارته .» (5) ولذلك لقد بذلت جهود - وما تزال تبذل - لتحقيق الكثير من التطوير والاصلاح في حياة اللغة . ومن العدل ان ننوه بجهود مجمع اللغة العربية والمجامع العلمية العربية وجهود الافراد والهيئات ، ومساهد العلم التي قد تطلعت اشواطا بعيدة في اغناء القاموسين العلمى والحضارى للغة الضاد وفي تيسير قواعدهما وكتابتهما وتصنيف المعاجم الحديثة ومن الملاحظ ايضا ان اصوات الدعاة في المشرق العربى ، الى احلال العامية محل الفصحى قد خفنت في السنين الاخيرة ، بينما بدأت ترتفع هنا وهناك في ارجاء المغرب العربى اصوات دعاة آخرين . ان التقارب بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية هو الكليل بكبت هذه الاصوات الداعية الى تبنى العامية في كل شىء حتى في التدريس الابتدائى والثانوى والجامعى . ان تعميم التعليم ، وازدياد الجمهور القارىء ، وتطور وسائل الاعلام ، وتعدد فرص اللقاء والاحتكاك ، والعمل القومى المشترك بين المثقفين والجاهير ، كل هذه الامور الى جانب الجهود السابقة ، كتيبة بتذويب الفروق بين اللغة الفصحى ولهجاتها ، وهو وحده العلاج لمشكلة ازدواجية الفصحى واللهجات في الوطن العربى .

(2) ويعتبر الاستاذ امين الخولى - وهو من اوائل من اهتم بهذه المشكلة في كتابه : « محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية» حيث كلف من طرف معهد البحوث والدراسات العربية العالية

- (5) مستقبل الفصحى : ص 111 و 112 .
- (6) محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية [القاهرة 1958] ص : 2 .
- (7) نفس المرجع . ص : 3 .
- (8) آراء في اللغة والادب : [بيروت - دار العلم للملايين 1957 م] ص : 42 .
- (9) المرجع السابق : ص 48 .

لا تشكل لغة مستقلة بالمعنى الاصطلاحي والعلمي لكلمة لغة لكنها تتفاعل مع اللغة الفصحى الأم وبإمكانها الإغناء بها عن طريق رفع الأمية والتثقيف الشعبي .

(4) أما نشوء تلك الفروق الصوتية بين لهجات الإقطار العربية فقد ابتداء خاصة بعد سقوط الدولة العباسية واستقلال الأقاليم العربية بعضها عن بعض فترك لهجات الكلام المحلية تنمو في الأمواه وتنتقل في صور جديدة الى الاجيال دون حد من هذا التطور المستقل . تلك هي - كما أكد الأستاذ ابراهيم أنيس - الحقيقة التي لا نستطيع ان نفر منها بل يجب ان نواجهها في شجاعة وان نفكر كيف نقرب بين هذه اللهجات (10) ، لان اللغة هي دعائم التوفيق بين الامراد والشعوب وليس « ابعث على نفور العربي من اخيه العربي من ان يسمعه ينطق الكلام نطقا يخالف نطقه » . ان اللهجات المحلية التي تسير الآن على اللسنة في كل بيئة عربية ، هي المعتبرة الكبرى في النهوض باللغة الصحيحة . فما تصلحه المدرسة يفسده البيت او الشارع .

ويرى الأستاذ ابراهيم أنيس ان تدخل السلطة التشريعية ضروري للقضاء على سلطات تلك اللهجات المحلية ، وذلك باصدار امر يحرم استعمالها في المجلات والصحف والاذاعة ودور الثقافة والمسارح .

(5) أما محمود تيمور فيقف من انصار العامية وانصار الفصحى في كتابه « مشكلات اللغة العربية » موقف التوفيق تائلا : « فلتدع هذا الصراع يدور سجالا بين شيمة العامية والمستمسكين بالفصحى ولتُنظر في كنه هذه اللغة التي كانت محور النزاع والصراع . الحق اننا بآراء لغة غير محدثة وما الفيت الفرق بينها وبين الفصحى ببعيد . هذه العامية أقدم من الفصحى عهدا ، وأغرق منها الى العروبة نسبيا . وفي مقدورنا ، او اتاحت لنا كتابة العامية ، ان نقول باننا نكتب العربية ولامرء . لقد عاشت خصائص تلك

العامية في العصور العربية الأولى ، إذ كانت لهجات لمختلف القبائل وانعشائر قد جرت عليها طباع النشوء والارتقاء ، ومرت بها اطوار تنازع ائبقاء . وعلى ترادف الايام الفينا هذه اللهجات المتخالفة تتجمع وتتخمر وتتخذ لها قالباً هو الذي يعرف بالفصحى . فكان هذا القالب صيغة مختارة ينطوي على النقاوة بين خصائص اللغة ، به نزل القرآن وفيه صب الشاعر والناشر روائع البيان » (11) .

ولايزال هناك من اللغويين من يدعى ان العربية هي اغنى لغات العالم ، وانها خالية من جميع المشكلات ! ويرى بعض المفكرين انها صعبة المراس وانها لغة كتابة لالفة كلام ، وحجتهم في ذلك انها لو كانت لغة كلام لعاشت في البيت والسوق ، ولنبت من تلقاء نفسها ولاشتقت الفاظها من طبيعتها دون اللجوء الى عوامل مصنوعة !؟ ويرى البعض الآخر من دعاة العامية ان الفصحى تكتسب بالتلقين والدرس وان المتعلم يبذل في هذا الاكتساب جهدا كبيرا ، وان العامية اذا اتخذت لغة كتابة وتدوين لا تحتاج الى شيء من القوانين والضوابط التي تختص بها الفصحى !؟

وهناك من يرى بان لغتنا العربية لا تصلح ان تكون اداة لمسيرة الحضارة المعاصرة وغير قابلة لتكوين المصطلحات العلمية التي يحتاج اليها الجيل الحاضر بحيث لا يمكن ان تضطلع بها نطلب منها للتعبير عن مقتضيات العلم والتكنولوجيا والصناعة !! .

فاللغة العربية عند هؤلاء ، عاجزة . قاصرة عن كل ذلك وهي في عداد اللغات الميتة كاللاتينية ! وعند هؤلاء يجب اتخاذ لغة تحل محل العربية ويرشحون لذلك احدى اللغات الاجنبية الحية كالفرنسية او الانجليزية !؟ الخ . او العامية ويستقدون ان ما جرى على اللاتينية من القاتون الطبيعي فسيجري على العربية حتما !؟ .

(10) محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة [القاهرة ، مطبعة الرسالة 1960] ص : 42 .

(11) مشكلات اللغة العربية [المطبعة النورجية : ص 1 . 1956] ص 188 .

الفصحى أم العامية : مشكلة قديمة ومعاصرة
 حاول حفني ناصف منذ أكثر من ستين سنة أن
 يجسم الخسارة الاقتصادية التي يتحملها
 الوطن من جراء مشكلة الوضع اللغوي المزدوج
 وما تسببه من اهدار للطاقات والسنين . ويقول
 في هذا الصدد بمناسبة مؤتمر المستشرقين
 الدولي السابع الذي انعقد بينا سنة 1886 م :
 « - وترى الطفل يتعلم العامية في أقل من خمس
 سنين ، ولا يتعلم الفصحى في أقل من عشر ،
 والسبب في ذلك ظاهر وهو أنه في أول أمره
 لا يسمع غير العامية ولا يتكلم بغيرها فهو
 أينما سار ، وحيثما ذهب ، مشتغل بها ،
 فترسخ في ذهنه رسوخ الفرنسية في أذنان
 اطفال الفرنسيين ، والانكليزية في اذنان اطفال
 الانكليز ، وليس الحال كذلك في ابلان تعلمه لغة
 الكتابة ، ولو فرضنا صبيا نشأ في بلد يتكلم
 أهله العربية الفصحى بالسليقة ، ويبدد سن
 مخصوص يتعلمون العامية ويستعملونها في
 الكتابة فقط لانعكس منه الحال، وتعلم الفصحى
 في أقل من عشر ، فليس في طبيعة اللسان
 العربي شيء من الصعوبة وإنما هي طريقة
 التلقين وبيئة التعليم » . ويرى حفني ناصف
 ان « الجيع بين العامية والفصحى يستنفد
 خمس عشرة سنة كان يفنى عنها خمس لو
 اقتصر المتعلم على احداها ويضيع على كل
 متعلم عشر سنين من عمره . فإذا تحققت
 الآمال وصار التعليم اجباريا فكم تخسر الأمة
 كل سنة من اعمار أفرادها وهي خسارة لا
 يمكن السكوت عليها » .

لسنا نريد هنا ان نتناقص هذا التقرير الناصفي
 المدعم بالارقام ولكن لا نمر من الاعتراف بأنه
 يبرز ظاهرة غير سليمة في حياتنا اللغوية العربية
 وهي ناتجة حسب رأي حفني ناصف من
 « بيئة التعليم وطريقة التلقين » .

ويعتبر أمين فكري أحمد من أوائل من دعا إلى
 التوحيد اللغوي على أساس اللغة الصحيحة .
 ففي مؤتمر المستشرقين الدولي الثامن المنعقد
 في ستوكهولم « بالسويد » سنة 1889 ، قدم
 بحثاً جاداً بعنوان : « نبذة في إبطال رأي القائلين
 بتمويض اللغة العربية الصحيحة باللغة العامية
 في الكتب والكتابة » .

ففي هذا البحث القيم ، فند القاضي أمين فكري
 أحمد ما ذهب إليه بعض رجال الاستشراق
 الأوربيين « من ان اللغة العربية المستعملة
 للخطاب اليوم في البلاد التي يتكلم فيها باللسان
 العربي قد صارت في غاية البعد عن اللغة
 العربية الفصحى الاصلية حتى صبح ان تعد
 كل منها مستقلة عن الاخرى ، وان اللغة
 العامية وانية بحاجات أهلها في التفاهم ولهم ان
 يستعملوها في جميع انواع المعاني عالياة
 ودانية ، علمية وادبية وصناعية وشرعية
 وسياسية . ولهم ان يستعملوها كتابة وتاليفاً
 كما يستعملونها نطقاً . وان امل التقدم ضعيف
 ما دامت العامة تتعلم اللغة الفصحى العربية،
 لغة القرآن كما في الوقت الحاضر ، بدل ان
 تتعلم اللغة العربية المستعملة لان نسبة اللغة
 العامية الى لغة القرآن كنسبة الايطالية الى
 اللغة اللاتينية والافريقية الحديثة الى الافريقية
 القديمة ، وان اللغة العربية اذا بقيت علومها
 وآدابها مختزنة في العبارات الفصحى تصبح
 وكأنها لغة اخرى غير العربية ولا يصل آحاد
 الأمة الى حاجاتهم من ذلك الا بعد ان يصرفوا
 الجزء الاهم من عمرهم في تحصيل اللغة » .

« فلو ان العلوم نقلت الى اللغة العامية (كذا)،
 وهي لغة الاب والام وجميع الخطاء، يتعلمها
 الصبي ، كما يتعلم المشي والاكل والشرب ،
 كان عنده من فضل الزمن ما يصرفه في
 تحصيل تلك العلوم وهو في أوائل الصبا - »
 غير أنه على الناصفي ، تناقض أمين فكري
 هذه المزاعم نقاشاً موضوعياً مفنداً ما فيها من
 اخطاء وأقيسة باطلة ، وبين ، عكس ما ذهب
 إليه المستشرقون من ان اللغة العامية أو اللوجات
 العامية في الاقطار العربية « لم تبعد عن الفصحى
 بعداً من شأنه ان يجعل منها لغة مستقلة : فالمواد
 في رايه ، هي نفس المواد الا ما زاد عليها وهو
 قليل لا يلتفت إليه ولا يكون لغة مستقلة وكذلك
 كيفية وهيئة التراكيب في الجمل فهي ترجع الى
 طرائق التركيب في الكلام العربي الفصحى » .
 وأشار - أيضاً - الى « ان جميع افراد العامة
 يحفظون شيئاً من القرآن يتلونه في صلواتهم
 ومنهم من يضم الى ذلك شيئاً من الادعية وشيئا
 من الاحاديث النبوية يستشهد بها ثم جم ، كل
 يوم جمعة ، يتابعون الاستماع الى الخطبة

باللغة العربية الفصيحة وما من سامع منهم الا وتبدو عليه علامات الفهم ، كما يتجلى ذلك في حركات بدنه ، وفي تتلفس عضلات وجهه ..»
ومن المفيد ان نذكر أن أمين فكري أحمد اشار الى ان « فساد النطق ليس من الامور التي يجب محوها بالمستحيلات وان الزمن الذي يلزم لتعلم اللهجات العامية وفنونها يكفى لتعلم اللغة العربية الصحيحة ، وذلك مع اضافة اننا نربح وحدة اللغة واتصال التراث » . وانتهى بعد ذلك ، الى اقتراح مناهج للوصول الى التقريب بين اللهجات العربية وبين اللغة الفصيحة الصحيحة ، وذلك بتسهيل العلوم وتواعد اللغة على العامة وذلك بـ :

● — إصلاح لغة العامة بالتقويم ، وكتابة الكتب في الآداب ومواد الثقافة العامة التي يجب تعميمها ونشرها بين افراد الامة باللغة الفصحى ، على شرط الا يخرج الكاتب عن المقررات المستعملة في لغة العامة فيجمع في تلك الكتب بين شيوع استعمال المفردات وصحتها من الناحية اللغوية .

● طرح ما دخل في اللغة العامية من الالفاظ الاجنبية واستبدالها بما هو افضل منها من اللغة العربية. والامنل ان بيت في هذه الامور بواسطة ترارات تصدر عن هيئة علمية سيدة او مجمع علمي يتألف من مشاهير العلماء وفتهاء اللغة العربية. ومن المؤكد ان اللفظ متى استعمل عند يعض القوم « سار » وشاع في البقية وتمكن في لغة الكافة كما نلاحظ ذلك في لفظ « اللجسنة » و « المؤتمر » فانها ، قبل عشرين سنة ، اي قبل سنة 1870 م ، لم يكونا معروفين الا عند بعض اهل الاختصاص ثم صارا شائعين في الصحافة شيوع الالفاظ الاخرى التي اصبحت مفاهيمها لا تخفى على احد . وهذا ينطبق على المفردات وكذلك على طرائق التراكيب والجيل ، فيجب ان تكون اقرب الى تاليف العامة على شرط البلاغة والصحة .

● — لمعالجة فساد النطق معالجة جذرية لا بد من نشر التعليم وتعميمه والزمام المدارس للغة العربية بتقويم لسانه على النطق السليم ، وتصحيح الجمل والتراكيب عند الانشاء والكتابة ، وذلك من بداية التعليم الى منتهاه .

● — لربح الوقت وتوفير الطاقة لا بد من ضبط طرائق التدريس للغة العربية الصحيحة لان ضياع سنين طويلة من عمر المدارس دون جدوى راجع الى اعوجاج طرائق التدريس وعدم كفاءة المدرسين (12) .

(3) وفي سنة 1908 اقام عدد من المفكرين ورجال العلم والادب ندوة في « نادي دار العلوم » في مصر وذلك بدعوة من رئيسه آنذاك الاستاذ حنفي ناصف لبحث مشكلة التعريب ، واتخاذ اسما للمخترعات العلمية والحضارية الحديثة. وفي هذه الندوة التي دامت اسبوعين قدمت بحوث عديدة جادة تناول الكثير منها قضية الفصحى والعامية نتحدث طنطاوي جوهرى عن اللهجة العامية عند المصريين وقال : بانها « عربية صحيحة في اغلب مفرداتها ، والمنحرف منها قليل . وكذلك الامر بالنسبة للالفاظ والكلمات الدخيلة . واورد بهذه المناسبة ، مائتين من الفاظ العامة التي يستكشف من استعمالها الكتاب والادباء زاعمين انها مبتذلة مع انها في الواقع عربية فصيحة وصحيحة ، واستشهد على صحتها بكتب اللغة والقرآن والحديث وأشعار العرب الوثوق بعريتهم » . وانتهى ، في بحثه هذا ، الى اقتراح يرمى الى العمل على التوحيد اللغوي والقضاء على مشكلة الازدواج اللغوي ، وذلك « برد الالفاظ التي اوضاعها الاصلية الفصيحة ، وادخال الاعراب على سبيل التدرج ، واصلاح المنحرف واستبدال الدخيل بقدر المستطاع » . وقد بنى طنطاوي جوهرى اقتراحه الانف الذكر على اساس طائفة من المشاهدات والحقائق ، منها ان الدخيل في العامية لا يبلغ خمسة في المائة من

(12) أمين فكري : إبطال رأي القائلين بتعمير اللغة العربية الصحيحة باللغة العامية [بحث قدمه الى مؤتمر المستشرقين الدولى الثامن — ستوكهولم 1889 م ، ونشره في كتابه عن الرحلة الى المؤتمر : ارشاد الالبيا ، الى محاسن أوروبا ، مطبعة المقتطف . 1892 م] .

على عالمي البلاغة واللغة ، أن يزيدا من اللغة العربية ما شاءا أن يزيدا . ويراعى في القاموس الذي ينشر الا يترك نباتا ولا حيوانا ولا غيرها ولا صفة من صفاتها الا وصفه ورسبه . ويجب ادخال كلمات ذلك القاموس في محاورات صغيرة لما يحيط بنا من الامور الخارجية حتى يعرف ابناءؤنا احوال الحياة والتعبير عنها .

وقد كان طنطاوي جوهري مقتنما جدا بصواب فكرته الى حد انه تنبأ بأنه في صورة ما اذا شرع في تطبيق مشروعه وسارت خطواته على ما رسم « فلن تمضي عشر سنين حتى تصير لغة الكلام لغة التحرير وتزول تلك الوصمة ويخرج جيل عالم وعالم باصول الحياة » (13)

وتعليقا على هذا المشروع قال كاتب معاصر وهو الاستاذ محمد خلف الله أحمد : « يبدو أن بعض علمائنا ، في العقد الاول من القرن الحاضر ، كانوا مطمئنين الى ما أحرزته قضية النصحى في العصر الحديث من تقدم ، مؤمنين بأنه يمكن تحقيق وحدة اللغة في الفكر والحياة متى سلكت له السبل القويمية الموصلة لذلك » (14) .

سنتوقف ، عند هذا الحد وللبحث متابعة .. متى تتاح لنا الفرصة لذلك .

مجموع الفاظها ، ونفس النسبة للمحرف تحريفا ظاهرا ، وأن اصول اللهجة العامية وما تاريتها تبلغ خمسة آلاف كلمة على اقل تقدير ، وأن كلا من الدخيل والمنحرف جعلنا نظن أن العامية كلها فاسدة . ونعتبر ، البليغ كل ما كان غريبا وأن الفاظ اهل بلادنا (ويقصد المصريين) ، قد وردت في القرآن والحديث وكلام العرب ... نهى لا تعتبر مبتذلة لا سيما وأن الحاجة اليها ماسة والامة تتكلم بها . فمن المبعث نبذها « وأن النصحى والبليغ ما عرفه الناس الذين نخطبهم ، إذ سبكته بنظم عجيب ، واسلوب غير غريب » .

وكان مما اقترحه طنطاوي جوهري ، كوسيلة من وسائل التوحيد اللغوي ، هو حل علمي لمشكلة الازدواج اللغوي (النصحى - العامية) ويتلخص فيما يلي :

— استيعاب الالفاظ المستعملة في لغة التخاطب اليومية وجميعها في قاموس وذلك بعد أن ترد الى اوضاعها النصيحة . وأتذاك يجب الا يقال عنها غريبة وعامية ، بل تكون كلها عربية صحيحة ، وينشر هذا القاموس بين الفئات المتعلمة حتى تدخل ملكة اللغة بالتدرج ، فيكتفى به الناس في اعمالهم . ومن كان مختصا بفن ، زاد من اللغة ما شاء من اصطلاحه ، ويجب

(13) بحوث ندوة دار العلوم بالقاهرة 1908 : انظر خاصة بحث طنطاوي جوهري : اللغة المصرية

العامية (المقتطف مجلد : 33 ج 4 - 1908)

(14) مستقبل القصحى ... بحث ذكر سابقا .